

لابن وكيع النيسبي

المنصف

د. محمد رضوان الداية

أستاذ الادب الاندلسي بجامعة دمشق

دور كبير في نقد أبي الطيب في زمانه ، كما كان مادة خصبة لمن جاء بعده ، ممن تصدى للنقد الادبي ، ولمن تخصص في دراسة أبي الطيب ، ورواية شعره ، وشرح ديوانه الى غير ذلك مما يتعلق به .

ونبه أبو منصور الثعالبي الى وجهي نشاط ابن وكيع ، وجانبي اهتمامه فقال فيه « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام وتستعبد الأفهام » فاذا ما تركنا عبارات التكريم وضرورات السجع بقي لنا تقدير ابن وكيع شاعرا ، عالما (ناقد) .

فمن هو ابن وكيع ؟

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف ، الضبي ، المعروف بابن

في كتب النقد الأدبي التي أسهمت في الحركة النقدية حول أبي الطيب المتنبي ، وتركت أثارا متميزة ، في النقد بعامة ، وفي نقد المتنبي بخاصة ، كتاب : « المنصف » لابن محمد الحسن بن علي بن أحمد المشهور بابن وكيع . والكتاب على شهرته في القديم والحديث ، وانتقاله من المشرق الى المغرب والاندلس ، لا يزال مخطوطا ، بل ان فهارس المكتبات العالمية التي تضم مخطوطات عربية لم تفصح الا عن نسخة واحدة فريدة ، من هذا الكتاب النفيس .

- ١ -

وابن وكيع - كما يصفه ابن خلكان - شاعر مشهور (١) ، ويصفه الثعالبي بأنه شاعر بارع (٢) . ولكنه اشتهر ناقد أكثر مما اشتهر شاعرا ، فقد كان لكتابه (المنصف)

وكيع التنيسي(٢) . وهوينتمي الى قبيلة صَبَّة ، وقد توطنت بعد الاسلام في منطقة البصرة . واشتهر من هذه الاسرة جده الاعلى الملقب بوكيع ، وهو أبو بكر محمد ابن خلف(٤) ، وكان نائباً في الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقي . وترجم له غير واحد من أصحاب التواريخ والتراجم . وقال فيه ابن خلكان : « كان فاضلاً نبيلاً من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم »(٥) . وترك آثاراً كثيرة ، منها كتاب مطبوع هو : أخبار القضاة وتواريخهم . وذكروا له كتباً أخرى .

وأبو محمد بن وكيع التنيسي واحد من رجال القرن الهجري الرابع الذي كان عنوانا بارزا على الحضارة العربية الاسلامية ، وقمة من قمم الالق الفكري في مجال العلوم الانسانية ، كما كان كذلك في مجال العلوم المختلفة . فقد توفي ابن وكيع سنة ٣٩٣ هـ ، واذا لم نعرف سنة ولادته على التحديد ، فلا شك في أنه شهد زمانا رحبا طويلا من هذا العصر الغني البعيد الاشعاع .

- ٢ -

نعرف - من الاخبار القليلة في تراجم ابن وكيع - أنه كان له وجهان من وجوه الاهتمام الادبي : لنظم الشعر والشهرة به ، وممارسة النقد الادبي .

أما شعره ، فقد بقيت منه بقية يسيرة ، غير أننا نعرف أنه كان له ديوان شعر معروف . وقد ذكر ابن خلكان نظم ابن وكيع للشعر ، فوصف قصيدة له مربعة بأنها من جيد النظم(١٠) ، ثم قال : وله ديوان شعر جيد(١١) .

ووصف الدكتور عمر فروخ شعر ابن وكيع فقال ان أوسع فنون شعره وصف الازهار والخمر والغزل ، وأن له شيئاً من الهجاء والحكمة ، وابن وكيع في وصفه « شاعر بارع ظريف خفيف الروح ، مال الى المحجون فاتخذها

ومولد ابن وكيع في تنيس بمصر ، وهذا يعني أن الاسرة هاجرت الى مصر ، واستقرت بهذه المدينة من مدة ، لم يعينها المؤرخون ، ولم يستنتجها المعاصرون على وجه دقيق . ومن هنا قال جامع ديوانه الدكتور حسين نصار في التعريف به « المرجح أن هجرة أبي الشاعر ، أو : جده ، هجرة خاصة ، لم تشمل غير أسرته ولذلك يتعذر معرفة زمانها ، ولعلها كانت بعد وقعة القرامطة بهم »(٦) . وايقاع القرامطة ببني ضبة كان سنة ٢٨٧ حين قامت بنو ضبة بالاشتراك في حملات العباس بن عمرو الغنوي على القرامطة في ذلك العام(٧) .

و (تنيس) التي ينتسب اليها ابن وكيع مدينة « بديار مصر ، بالقرب من دمياط » . وقد أكثر الجغرافيون من وصف منطقة تنيس وزروعها وحيوانها وطيرها

مذهباً في الحياة يدعو اليه ويدافع عنه ويحسنه في العيون» (١٢) . وهذا حكم مستقى من شعره الباقي وما أظنه استمر على هذا الوجه حياته كلها ، والا لذكر ذلك في أخباره ، ولما غاب عن ابن خلكان والثعالبي . ولقبه الدكتور نصار وعنون كتابه بـ « شاعر الزهر والخمر » .

وأما النقد ، فقد ألف فيه كتاب (المنصف) . وهو في الحق كتاب ألف أساساً لنقد شعر المتنبي ، واطهار موقف خاص من شعره ، ومن بعض شراح ديوانه . وقد أثار الكتاب والمؤلف مواقف مختلفة ، بين راض به أخذ بما ورد فيه من مأخذ على شعر أبي الطيب ومنهجه وطرائقه ، وبين معارض لما جاء فيه ، معترض على منهج المؤلف واسرافه في استخراج السرقات ، أو ماسماه هو سرقة ، وكد خاطره في سبيل الوصول الى اقناع القارئ في هذه السبيل . ولعل أول من رد على ابن وكيع معاصره ، شارح ديوان أبي الطيب : أبو عثمان بن جني . ونبه ابن رشيق في كتاب العمدة الى كتاب المنصف وقال فيه « وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لاحد معها شعر ، الا الصدر الاول ، ان سلم ذلك لهم ، وسماه كتاب المنصف مثلما سمي اللديغ سليماً ، وما أبعد الانصاف منه » (١٣) .

ونجد في بعض الدارسين المعاصرين من نظر من زاوية قريبة الى زاوية رؤية ابن

رشيق في لوم ابن وكيع ، واعتبار نقده هذا في المنصف نقداً موجهاً ، نابعاً من أغراض ذاتية ، تسبق الغرض العلمي الصافي ، فنقده يمكن أن يقال فيه انه « رد شاعر مغيظ على طبقة من المتعصبين لأبي الطيب اذ كانت اقامة المتنبي في مصر قد أوجدت حوله عدداً من الانصار والمعجبين ، وكان لهؤلاء أنفسهم تلامذة يدرسون شعر أبي الطيب ويذهبون في الاعجاب به مذهباً بعيداً حتى فضلوه على من تقدمه من الشعراء وحتى قالوا - والعبرة هنا مقتبسة من المنصف - : ليس له معنى نادر ولا مثل سائر الا وهو من نتاج فكره وأبو عذره ، وكان بجميع ذلك مبتدعا ولم يكن متبعاً ، ولا كان لشيء من معانيه سارق بل كان الى جميعها سابقاً قال الناقد المعاصر : وليس من الضروري أن يقول المعجبون هذا كله ، وانما هم خلقوا من حول ابن وكيع جوالا يستريح اليه ولا يلائم ما يروجوه لنفسه من شهرة في الشعر» (١٤) . بل ان حواشي مخطوطة (المنصف) تغص بتعليقات مختلفة ، كلها في الرد على المؤلف والانتصار لأبي الطيب من عنف قلم ابن وكيع أحيانا ، أو من جرأته على اتهام أبي الطيب بالسرقة من صغار الشعراء وبعض المغمورين فيهم .

- ٣ -

و (المنصف) اذن كتاب نقدي شارك في الحركة النقدية التي رافقت ، وتلت ظهور المتنبي . والمؤلف شاعر ، ناقد ، يصدر عن

منهج معين رسمه لنفسه وأشرك القارىء
في تبين معالم ذلك المنهج .

والكتاب في قسمين . القسم الاول منه
مقدمتان عامتان في موضوعي السرقات
الادبية والبديع ، أو الفنون البديعية ،
والقسم الثاني عرض لما سرقه المتنبي ، أو
أفاد منه من الشعر العربي السابق عليه أو
المعاصر له . وتناول ابن وكيع شعر أبي
الطيب متسلسلا بحسب روايته التاريخية .
فبدأ بشعره الذي قاله في صباه ، وتدرج
صعدا الى شعر الفتوة والشباب فالكهولة . الخ

ويعد القسم الثاني من الكتاب تطبيقا
عمليا لما اعتمدته نظريا في موضوع السرقات
الادبية فابن وكيع « قبل أن يمضي في سرد
سرقات المتنبي يقرر أنواعها ويحدد للقارىء
وجوهها ويعرفه ما يوجب للسارق الفضيلة
وما يلحقه الرذيلة ، أي أنه يضع أساس
منهجه قبل الحكم على سرقات المتنبي » (١٥)

وموقفه من السرقات قائم على أساسين :

١ - السرقة الادبية ، قديمة ، تعم
القدماء والمحدثين ، فلامعنى لان يدعي أنصار
أبي الطيب أنه عار عن السرقة ، وأن مايقوله
جميعا من اختراعه وابتداعه .

٢ - هناك فرق بين السرقات المقبولة أو
المحمودة وبين السرقات غير المقبولة أو
المذمومة .

وجعل ابن وكيع السرقات المحمودة
عشرا ، والسرقات المذمومة مثلها عشرا

فمن السرقات المحمودة استيفاء اللفظ
الطويل في الموجز القليل كقول طرفة :

أرى قبر نحام بخيل بما له
كقبر غوي في البطالة مفسد

اختصره ابن الزبيري فقال :

والعطيات حساس بيننا
وسواء قبر مثر ومقل

فقد شغل صدر البيت بمعنى ، وجاء ببيت
طرفة في عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح
ولفظ واضح « أهـ » فهذا مثال مما ذهب اليه .

وفرق ابن وكيع - كغيره ممن سبقه ،
كالحاتمي مثلا - بين السرقة من المعاني
المألوفة المشهورة ، حيث لاتعد السرقة
سرقة ، وبين السرقة التي يستحق صاحبها
اسم السرقة .

ويرى الدكتور هدارة أن تعنت ابن
وكيع في دراسته لسرقات المتنبي جاء من
طبيعة قسمة السرقات بحسب منهجه من
جهة ولربطه ذلك بأنواع البديع التي قدمها
في أول كتابه .

ونقرأ في مقالة قريبة العهد عنفا بابن
وكيع وهجوما على منهجه وعمله النقدي :
« فابن وكيع شاعر الزهر والخمر - يعني
كما لقبه بذلك الدكتور نصار - ولم يكن
باحثا مجتهدا أو على الاقل كالمُتنبي مطالعا
دؤوبا » (١٦) .

وتمضي المقالة حماسية الى آخرها ، مع
محاولة جادة للتحليل والتعليل . ولكننا من

من هذا أن يقال ان الكتاب كان رد شاعر
مغيظ ٠٠٠ الخ « (١٨) » .

قد تكون هناك حوافز مختلفة ، لرجل
معاصر يتحدث عن شاعر مثله جلى في حلقة
الشعراء ، واختطف راية الشعر في كل
ميدان ، غير أن في كتاب المنصف دلائل كثيرة
تجعل القصد النقدي واضحاً ، ومحاولة
« الانصاف » محاولة مستمرة من المؤلف ،
وان أفلتت منه سياسة هذا الامر مرارا هنا
وهناك .

وقد حاول ابن وكيع أن ينفذ الى شعر
أبي الطيب ، ويقارنه ويوازنه بمن سبقه
من الشعراء ، ولم يعدم وسيلة للربط بين
معاني المتنبي في صلتها الواضحة بشعر
سبق ، أو في صلتها اللائحة ، أو البعيدة
أحيانا . واهتم كثيرا بما أخذه عن الطائيين
أبي تمام والبحري . وكان محور نظر ابن
وكيع يدور حول عدد من فحول الشعراء
المحدثين ونقل المتنبي عنهم مثل صبريع
الغواني ، وأبي نواس ، والطائيين ، وابن
المعتر وابن الرومي ٠٠٠ وغيرهم وحول عدد
كبير من الشعراء التاليين لهم في الدرجة أو
المكانة أو الشهرة أو وفرة الشعر مثل ديك
الجن الحمصي والخبز أرزي وكثيرا ماكان
يسلم لأبي الطيب بالسبق أو التقدم أو
استحقاق المعنى ولكن منهجه الذي رسمه
لنفسه مسؤول عما لحق المتنبي على يديه
أكثر من حقه عليه ورغبته في النيل منه .

جهة أخرى نجد الكتاب والنقاد الذين أفادوا
من مقدمتي ابن وكيع ، واقتبسوا عنه ،
والتزاما بما اقترحه من موازين نقدية ،
وفصلوا فصلا تاما بين اعجابهم الشخصي
بالمتنبي وبين الاستفادة من مقارنات ابن
وكيع ومقابلاته المستمرة بين شعر المتنبي
وشعر من سبقه من الشعراء الى معانيه
وخصوصا من الشعراء المعاصرين له ممن
يمكن أن يسموا شعراء الطبقة الثانية أو
شعراء غير حائزين الدرجة الاولى دائما ،
ان صحت العبارة .

- ع -

لماذا ألف ابن وكيع كتابه ؟

يقول ر . بلاشير في حديثه عن ديوان
أبي الطيب المتنبي في مصر والشام : « انه
تشكلت فئة مناوئة (لابي الطيب) بدافع
من نفوذ أشخاص معادين للشاعر المتنبي
كالوزير ابن حنزابه ، وكان من أشهر ممثليها
الشاعر العالم ابن وكيع مؤلف : المنصف
للسارق والمسروق من المتنبي ، وهو كتاب
مجرد من الطرافة بقدر اساءة التسمية ،
ويشبهه من جميع الوجوه رسالة الصاحب
ابن عباد ٠٠٠ » يعني رسالته في الكشف عن
مساوئ المتنبي (١٧) . ورد الاستاذ الدكتور
احسان عباس هذا الافتراض فمعاصرة ابن
وكيع لابن حنزابه قد تبيح شيئا من هذا
الذي يقوله بلاشير « غير أنه ليس فيما
وصلنا من كتابه مايلمح الى ذلك ٠٠ وأقوى

بن عباس بن أبي عمرو - والحمد لله على نعمائه » .

والنسخة بخط جلي جميل . غير أن الناسخ ، فيما يظهر لي ، نقل عن أصل كتبه أحد العلماء لنفسه فلم يوضح بعض رسوم الحروف ، فنقل الناسخ كما رأى ، أو كما توهم في بعض الاحيان . ومن هنا كان لابد من الدقة في القراءة ، والتروي ، وقياس بعض رسم الناسخ ببعضه الآخر لمعرفة منهجه وطريقته .

وقد جاء في عنوان المخطوطة ، على الورقة الاولى منه بخط مغاير لخط كاتب النسخة ، « كتاب المنصف للسارق والمسروق منه تصنيف أبي محمد الحسن بن علي بن وكيع في اظهار سرقات أبي الطيب المتنبي » وهذا عنوان طويل ليس هو العنوان الذي وضعه ابن وكيع ، وانما هو بسط لموضوعه . وذكر حاجي خليفة الكتاب وسماه : « المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي » .

والحق أن المؤلف سمى كتابه (المنصف) فحسب دون أية اضافة أخرى ، وقد استعمل فعل (أنصف) في المقدمة فقال : « وسأنصفه في كل ذلك فما استحقه على قائله سلمته اليه وما قصر فيه لم أدع التنبيه عليه » . بل انه نقل مرة خبرا عزاه الى : « بعض المتعصبين على أبي الطيب » . - الورقة ١٢٢ ب - وكذا سماه (المنصف) ابن رشيق في العمدة ، وابن خلكان في وفيات الاعيان وغيرهما . وتبقى الاضافات الاخرى ايضا للكتاب أو تبياننا لابرز ما فيه .

كان كتاب ابن وكيع بين يدي المؤلفين والنقاد والبلاغيين فتجد له ذكرا في شرح مقامات الحريري للشريشي وشرح نهج البلاغة وبديع ابن المعتز ونصرة الاغريض . الخ . وشرق الكتاب وغرب ودخل الاندلس وعرفه الدارسون ونقلوا عنه . بل ان الشريشي اختصر القسم الاول كله في السرقات وفي الفنون البديعية ونبه الى أخذه عنه واستفادته منه وأثنى عليه . وصنع شيئا قريبا من هذا ابن منقذ في بديعه (١٩) .

وسطا المظفر بن الفضل صاحب كتاب نصرة الاغريض على جانبي القسم الاول واختصر أو نقل كلام ابن وكيع بحروفه دون أية اشارة ونتساءل أكان كتاب المنصف قد تضاعل نشره وتوزيعه حتى ساغ للمظفر ابن الفضل (من رجال القرن السابع) أن ينقل جملة وفيرة من كتاب ابن وكيع دون أية اشارة ؟ (٢٠)

مخطوطة (المنصف) مخطوطة فريدة ، وما اعتمده الدارسون والنقاد والمعاصرون نسخة واحدة محفوظة في برلين . تقع في ١٦٧ ورقة جاء في آخرها « هذا ما وجد من النسخة - تم الكتاب ولله الحمد - وكان الفراغ من نساخته يوم السبت لست ليال بقين من شهر ذي الحجة من سنة سبع وثمانين وخمس مئة - بخط مالكة مسعود

بلا شك على عدد من الكتب الادبية والنقدية المعاصرة سواء ذكر هو ذلك أم أغفله كنقد الشعر لقدامة ، وبديع ابن المعتز وكتب الحاتمي (حلية المحاضرة وغيره) .

وكان كتاب ابن وكيع مادة خصبة لمن جاء بعده ، فكان بين أخذ ورد . واشتد عليه الهجوم لانه كان جريئا ، وربما كان عنيفا أحيانا ، في نقد المتنبي ، وفي الكشف عن وجوه سرقاته كما رآها هو من خلال منهجه النقدي الذي اعتمده .

ويبقى كتاب ابن وكيع مرجعا أساسيا للدراسات الادبية والنقدية بعامة ، ولدراسة المتنبي بخاصة . ويقدم هذا المخطوط زادا ثقافيا ثمينا جدا ، لانه من أوائل الكتب المؤلفة في نقد المتنبي ، ولان صاحبه ناقد ، وشاعر ، واعتمد على هذين الجانبين معا في نقده وشرحه .

وتبقى ميزة أخرى تكشفها الدراسة المتأنية : مآثر المعاصرة ومآثر المنافسة على الشعر وصولجانه في توجيه النقد الادبي ؟

د . محمد رضوان الداية

حواش واحالات

(١) وفيات الاعيان ٢ : ١٠٤

(٢) يتيمة الدهر ١ : ٣٥٦

(٣) ترجمته في وفيات الاعيان ٢ : ١٠٤-١٠٧ ، و يتيمة الدهر ١ : ٣٥٦ - ٣٨٤ . وطالت ترجمته فيه لان الثعالبى اكثر من الاختيار من شعر ابن وكيع . وانظر كشف الظنون ٢ : ١٨٦٢

والحق أن الكتاب لا يكتفي بذكر سرقات أبي الطيب ، بل يعرج على سرقات شعراء آخرين ، ولا يكتفي بموضوع السرقات ، بل يضيف أمورا نقدية مختلفة في أثناء العرض والسرد ، مما لامجال للتفصيل فيه في هذه المقالة .

والمخطوطة الباقية من الكتاب تدل على أن ابن وكيع جعل كتابه في جزأين ينتهي الجزء الاول بالورقة ١٤٨ ، ويقف الجزء الثاني أو الموجود منه عند الورقة الأخيرة ١٦٧ .

ويختلف المنهج في الجزء الثاني عنه في الاول . فيميل النص الى الاختصار والايجاز ، والاكتفاء من كل قصيدة ببيت أو بأبيات قليلة . والناسخ يقول انه ينقل كما يرى وكما تيسر له . وهذا جانب يستحق الدراسة : أكان الكتاب في جزأيه من عمل المؤلف على هذا الوجه ؟ أم كان الجزآن في حجمين متقاربين ، وعلى منهج واحد ثم اختلفت على الجزء الثاني عوادي الزمان ؟ الاقرب الى القبول - عندي - أن يكون الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب ابن وكيع ، كما صنعه تقريبا . ولهذا الرأي حجج ، يبعد بسطها عن منهج المقالة التعريفية .

- ٧ -

لقد أخذ ابن وكيع كثيرا من مادته الشعرية عن أصول الدواوين التي كانت بين يديه للشعراء القدامى والمعاصرين ، واطلع

(١٣) العمدة ٢ : ٢١٦

(١٤) تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٢٩٥
وانظر حكاية بعض هذه المواقف عند القدماء
في كتاب مشكلة السرقات في النقد العربي للدكتور
محمد مصطفى هدارة ١٨٦ - ١٨٧

(١٥) مشكلة السرقات : ١٨٨

(١٦) مجلة الفكر العربي العدد ١٤ مقال ا.
محيي الدين صبحي : « في المعركة النقدية حول
المتنبي »

(١٧) أبو الطيب المتنبي ، دراسة في التاريخ
الادبي : ٤٨٧

(١٨) تاريخ النقد الادبي : ٢٩٤

(١٩) شرح مقامات الحريري للشريشي ٣٥٨:١

(٢٠) نضرة الاغريض ونضرة القريض للمظفر
ابن الفضل العلوي طبع مجمع اللغة العربية
بدمشق .

(٤) وفيات الاعيان ٢ : ١٠٦ ، والوفائي
بالوفيات ٣ : ٤٣ ، والمنتظم ٦ : ١٥٢ ، وابن
كثير في تاريخه ١١ : ١٣٠ ، وغاية النهاية ٢ : ١٣٧

(٥) وفيات الاعيان ٢ : ١٠٧

(٦) ابن وكيع التنيسي (مقدمة المحقق) :
١٠ - ١١

(٧) الكامل في التاريخ (٧ : ٤٩٨) خبر عن :
القرامطة وانهزام الغساس الغنوي منهم ، وكان
على القرامطة ابو سعيد الجنابي .

(٨) معجم البلدان ٢ : ٥١

(٩) ابن وكيع التنيسي (مقدمة المحقق) :
١٥ - ٢٩

(١٠) قصيدة كل أربعة اشطار منها على
قافية .

(١١) وفيات الاعيان (٢ : ١٠٤)

(١٢) تاريخ الادب العربي (د. عمر فروخ)
٢ : ٥٨١